حماس

فصول لم تكتب

تأليف

د. عزام سلطان التميمي

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مماس

فصول لم تكتب

تأليف

د. عزام سلطان التميمي

ترجمة

أمل عيتاني

مراجعة الترجمة

براءة درزي رنا سعادة

مركز الزيتونة

للدراسات والاستشارات

بيروت - لبنان

Hamas: Unwritten Chapters

By:
Dr. Azzam Sultan Tamimi

تمّ ترجمة هذا الكتاب للعربية عن الأصل الإنجليزي المطبوع في سنة 2007، والصادر عن دار هيرست بلندن، مع بعض التعديل.

Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters*. London: C. Hurst & Co., 2007.

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى
2025م – 1446هـ
بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-058-7

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
تلفون: 44 36 80 21 961 +
تلفاكس: 43 36 80 21 961 +
ص.ب.: 5034–14، بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net **الموقع:** www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

إخراج
ربيع معروف مراد

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 3

المقدمة 5

الفصل الأول: البدايات 15

الفصل الثاني: من الدعوة إلى الجهاد 51

الفصل الثالث: حرب شاملة 73

الفصل الرابع: إلى الأردن 97

الفصل الخامس: محاولة اغتيال مشعل 131

الفصل السادس: الخروج من الأردن 157

الفصل السابع: أيديولوجية التحرير عند حركة حماس 191

الفصل الثامن: الجهاد والاستشهاد 223

الفصل التاسع: حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية 243

الفصل العاشر: نحو انتفاضة ثالثة 271

فهرست 321

الفصل الثاني

من الدعوة إلى الجهاد

من الدعوة إلى الجهاد

" كانت رغبتي الشخصية وحماسي، كنت أريد أن أبدأ المعركة منذ سنة 1967، لكن عندما ندرس المعطيات والإمكانات، كنا نجدها غير كافية فكنا نؤجل، ثم ندرس القضية مرة أخرى، ثم نؤجل".[1]

الشيخ أحمد ياسين

كانت بدايات السبعينيات سنوات صعبة على الشيخ أحمد ياسين وإخوانه في قطاع غزة، فقد كانوا مجبرين على العمل في بيئة عدائية تتسم بسيطرة قوية لمشاعر القومية العربية، وتصاعد شعبية الجماعات اليسارية التي خاضت حرب عصابات ضدّ قوات الاحتلال الإسرائيلي. إلا أن الإيمان بالقومية العربية بدأ يتزعزع، وترافق ذلك مع تصاعد الإجراءات القمعية التي كانت "إسرائيل" تمارسها ضدّ المجموعات التي كانت تناضل ضدها، من عمليات قتل وترحيل وسجن للناشطين؛ فكانت النتيجة أن إصرار الإخوان على ممارسة الدعوة السلمية غدا أكثر تقبلاً لدى قطاع من الناس.

منذ البداية شكّ الشيخ أحمد ياسين بأن حرب تشرين الأول/ أكتوبر التي وقعت سنة 1973 لا تعدو كونها مناورة لتمهيد الطريق أمام التوصل إلى "سلام" مع "إسرائيل". وحين وقعت الحرب، ثبت مرة أخرى أن الشيخ كان صائباً في تقييمه لجاهزية، أو بالأحرى لعدم جاهزية، الدول العربية المجاورة لتحرير فلسطين. إلا أن الفلسطينيين أيضاً لم يكونوا أكثر استعداداً من جيرانهم العرب، إذ كانوا يفتقدون إلى الدعم اللوجستي والمادي الضروريين من إخوانهم في العالم العربي، فيما تمكنت "إسرائيل" من زرع عدد كبير من العملاء في أوساطهم، وبالتالي جعلت من المقاومة أمراً شبه مستحيل.[2] وكان الإخوان يرون أن المجتمع الفلسطيني مريض لدرجة يحتاج معها إلى المعالجة قبل أن يصبح قادراً على المقاومة، وأنه لا علاج أفضل من العودة إلى الإسلام.

الجمعية الإسلامية:

في سنة 1967، وبعد ما يقارب العقد من العمل من داخل منازلهم ومن المساجد، رأى الإخوان أن الوضع أصبح يسمح بإيجاد أول إطار عمل علني ومفتوح، فأسَّسوا الجمعية الإسلامية التي سعت إلى تقديم برامج ثقافية ورياضية وترفيهية للشباب. لم يرَ الإسرائيليون في الجمعية أي شكل من أشكال التهديد، فلم يمانعوا في منح الإخوان رخصة لتأسيسها. كانت الجمعية تُدار من خلال غرفة في مسجد الشاطئ، وكانت تقوم بأنشطة رياضية وكشفية ورحلات ترفيهية، وتنظم محاضرات عامة ذات موضوعات دينية واجتماعية.

وفي ذلك الوقت، نجح الشيخ أحمد ياسين من مقره في مسجد العباس في جمع ما يكفي من المال من المتبرعين لإعادة طباعة المجلد الأخير من تفسير القرآن الكريم الذي ألفه سيد قطب تحت عنوان "في ظلال القرآن". ومن أجل ضمان توزيع أكبر عدد من النسخ، وضمان أن يقرأه تلامذتُه بشكل خاص، قسم الشيخ ياسين المجلد إلى خمسة أجزاء متفرقة وطبع ألفَي نسخة من كل جزء. وقد كان لهذا المشروع أثر في تغيير الطريقة التي يُنظر بها إلى الإخوان في غزة، فسيد قطب الذي كان أحد الشخصيات القيادية في جماعة الإخوان المسلمين المصرية، وأحد ضحايا نظام عبد الناصر القمعي، قدّم للقراء على أنه ثائر يُقاتل من أجل العدالة، وعالم جهبذ في الوقت نفسه.[3]

شجَّعت الإنجازات التي تحققت الإخوان المسلمين على اتخاذ قرار بإنشاء مؤسسة جديدة، عُرفت فيما بعد بالمجمّع الإسلامي، وكان الهدف الأساسي من وراء إنشاء هذا المجمع تقديم خدمات اجتماعية وصحية وتعليمية للمجتمع في جورة الشمس جنوب مدينة غزة. مُوِّل بناء المكان من التبرعات التي جُمعت من فلسطينيي الضفة الغربية الذين كانوا أيسر مادياً. ومع انتهاء أعمال البناء، قُدِّم طلب الحصول على رخصة من السلطات الإسرائيلية لبدء العمل فيه. سمح الإسرائيليون بمباشرة العمل في المجمَّع، وأعطوا الإخوان الترخيص اللازم، إلا أنهم عادوا وسحبوا الرخصة بعد أيام قليلة. وتبيّن لاحقاً أن فلسطينياً بارزاً في غزة نصح الإسرائيليين بسحب الرخصة بسبب نزاع شخصي مع لجنة المشروع حول دوره فيه. ويُعتقد أن هذا الفلسطيني البارز لم يعجبه اختيار الشيخ أحمد ياسين ليتولى منصب الأمانة العامة في المركز، إذ كان يطمح أن يؤول المنصب إليه. وبعد نداءات متكررة وبوساطة شخصية فلسطينية

أخرى بارزة، أعاد الإسرائيليون إصدار رخصة مباشرة العمل، وافتُتح المجمَّع. كان فضاء عمل المجمع الإسلامي أرحب بكثير مما كان عليه الأمر في الجمعية الإسلامية. واشتملت الأهداف التي أُسِّس المركز من أجلها توفير طيف متنوع من الخدمات الاجتماعية، وبناء المساجد وتأسيس الروضات والمدارس والعيادات في جميع أنحاء قطاع غزة. ولقيت الخدمات التي كان المجمع يوفرها شعبية كبيرة دفعت الإخوان إلى افتتاح فرع آخر في خان يونس بعد فترة قصيرة.

وربما يمكن القول بأن الإسلاميين الفلسطينيين كانوا رواداً في الطريقة التي حوَّلوا فيها النقاش الفكري والأيديولوجي إلى برامج عملية تُقدِّم الخدمات للعامة من خلال مؤسسات طوعية، في حين حُرِم إخوانهم في أماكن أخرى من العالم العربي طوال عقود من الزمن من فرصة مماثلة، لأن غالبية الأنظمة في الدول العربية فرضت قيوداً على كل أشكال الأنشطة غير الحكومية ذات العلاقة بالدين أو ذات الطبيعة الطوعية الخيرية. فالحكومات التي تشكَّلت في مرحلة ما بعد التحرُّر من الاستعمار وجدت أنّ لها مصلحة وجودية في قمع المؤسسات المدنية، وذلك من أجل الإبقاء على قبضتها المُحكمة على الشعب، والاستمرار في احتكار التصرف بالموارد. وللأسف، فإن هذه الحكومات كانت تُبرر هذه الممارسات القمعية بشكل أساسي تحت مسمى محاربة الإمبريالية والصهيونية وتحرير فلسطين. والعجز الذي كانت تعاني منه مؤسسات الخدمات العامة، التي كانت الحكومات تمتلكها وتديرها، كان يعزى إلى ضرورة تطبيق سياسة التقشف، لأن الأموال العامة كانت تذهب، حسب زعمهم، لتمويل جهود الحرب ضدّ "إسرائيل". وكان الفلسطينيون أنفسهم ضحايا الجو القمعي نفسه حين كانت غزة خاضعة لحكم النظام المصري والضفة الغربية لحكم النظام الأردني.

وكانت المفارقة أن الوضع تغير بعد حرب سنة 1967 والاحتلال الإسرائيلي، حيث اختارت "إسرائيل" إعادة إحياء بعض وجوه القانون العثماني القديم في إدارتها لشؤون السكان العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة، ما سمح بتأسيس المنظمات الطوعية غير الحكومية، مثل المؤسسات الخيرية والتعليمية وغيرها من أشكال المؤسسات الخاصة، وكان هذا تطوراً إيجابياً بالنسبة إلى الفلسطينيين الخاضعين للاحتلال الإسرائيلي. ففي السنوات العشر الأولى من الاحتلال الإسرائيلي من سنة 1967 حتى سنة 1977، طبّقت سلطات الاحتلال الإسرائيلي سياسة "عدم التدخل" التي خطّها وأشرف عليها موشي دايان Moshe Dayan، وزير الدفاع في

حكومة حزب العمل Labor Party. وكان يُقصد من وراء ذلك أن تكون سلطات الاحتلال الإسرائيلي متجاوبة مع تطلعات الفلسطينيين، من خلال السماح لهم بالاستفادة من مؤسساتهم غير السياسية ما دامت هذه المؤسسات تستوفي شروط الاحتلال ولا تشكّل أي خطر عليه. وعلى الرغم من أن هذا الجو المتسامح عاد بالفائدة على مختلف المجموعات والجمعيات التي كانت تدير مؤسسات المجتمع المدني، إلا أن الجماعات ذات الاتجاه الديني كانت أكثر المستفيدين منه. فقد أثبتت التجربة أنه في المجتمع الإسلامي الذي يتمتع بمثل هذا الجو من الحرية، وحتى لو فُرضت بعض القيود عليه، لا يمكن لأي مجموعة سياسية أو أيديولوجية أن تنافس القدرات العالية للجمعيات الأهلية غير الحكومية ذات الخلفية الدينية في مجال تقديم الخدمات للمجتمع. فتقديم الخدمات العامة، وجمع ما يلزم من تمويل لمثل هذه المشاريع، هو بحد ذاته عبادة في الدين الإسلامي، وتطبيق عملي للزكاة.[4]

ومن خلال "الجمعية" و"المجمع" نجح الإخوان في زيادة عدد المساجد الخاضعة لإدارتهم إلى الضِّعف أو أكثر. وبشكل عام كان كل مسجد يشتمل على روضة أطفال، ومدرسة لتعليم القرآن الكريم، فيما ضمَّت بعض المساجد عيادات طبية أيضاً. إضافة إلى ذلك، كانت الوحدات المتنقلة توفر الخدمات الطبية المجانية للناس من خلال زيارة المناطق الريفية بشكل منتظم. إذ كان الإخوان المتخصصون في مختلف المجالات الطبية يخصصون يوماً في الأسبوع لكل منطقة، يقدمون فيه الاستشارات الطبية المجانية بشكل طوعي. وفي الوقت نفسه، كانت صيدليات الإخوان تصرف الأدوية للناس بأسعار مخفضة. وخصص يوم أيضاً لإجراء عمليات الختان للصبية مجاناً، كان الإخوان ينظمون فيه احتفالاً تقليدياً بالمناسبة. توسعت الأنشطة بشكل مطّرد، ولم يكن يعيقها سوى عدم توفر التمويل. ولذلك كانت هناك ضرورة لجمع التبرعات بطريقة منهجية من أجل الحفاظ على تدفق ثابت لها، مع ضرورة الاحتفاظ بسجلات بكل ما يرد من أموال، وما يصرف منها، وكيف وأين؛ وهذا ما أدى إلى انتشار لجان الزكاة في جميع المناطق، حيث كانت كل لجنة تعمل من خلال المسجد المجاور أو بالتعاون معه. وفيما بعد أصبحت لجان الزكاة هذه المستقبل الأساسي والموزع الأساسي للتبرعات التي كانت تصل من الخارج من قبل الإخوان الذين شكلوا شبكاتهم الخاصة لجمع التبرعات دعماً للشعب الفلسطيني الذي يعيش تحت الاحتلال الإسرائيلي.[5]

الجامعة الإسلامية:

مع حلول سنة 1978، عاد عدد متزايد من الإخوان من ذوي الكفاءات العالية من الخارج بعد أن أنهوا دراستهم في مصر وغيرها من الدول، الأمر الذي طرح موضوع تأسيس الجامعة الإسلامية على بساط البحث. فمنذ بداية السبعينيات، شهدت الضفة الغربية إنشاء الجامعات التي طُوّر بعضها بعد أن كانت ثانويات أو كلّيات. وكانت كلية بيرزيت السباقة لاتخاذ أول مبادرة في هذا المجال سنة 1972، حين أعلنت إدارتها عن خطة لتطوير الكلية إلى جامعة مع إطلاق برنامج مدته أربع سنوات يحصل بعدها الطلاب على بكالوريوس في العلوم والآداب. وفي سنة 1975، غيرت كلية بيرزيت اسمها لتصبح "جامعة بيرزيت" وأقامت أول حفل تخريج لطلابها في 1976/7/11. أما المؤسسة الثانية التي تحولت إلى جامعة متكاملة فكانت جامعة بيت لحم، التي كانت سابقاً مؤسسة تعليم عالٍ كاثوليكية. فالمؤسسة التي أنشئت سنة 1973 تعود جذورها إلى سنة 1893 حين افتتحت أخوية دو لا سال De La Salle المسيحية مدارس في بيت لحم والقدس ويافا والناصرة كما في الأردن ولبنان ومصر وتركيا. وأنشئت جامعة النجاح في نابلس سنة 1977 وكانت في الأساس مدرسة النجاح التي أُسِّست سنة 1918. أما جامعة الخليل فأبصرت النور في سنة 1980 نتيجة لتطوير كلية الشريعة التي أُسِّست سنة 1971. وبالإضافة إلى ذلك، وسَّعت جامعة الدراسات الإسلامية من نطاق اختصاصاتها لتشمل حقولاً علمية وأدبية مختلفة.

كانت الجامعة الإسلامية أول جامعة تؤسس في غزة، وكان أعضاء المجلس التأسيسي للجامعة أساساً من الإخوان الذين كانوا يعملون أيضاً في المجمع الإسلامي الذي كان يرأسه في ذلك الوقت الشيخ أحمد ياسين. واجه تأسيس الجامعة الإسلامية سلسلة من العقبات، فالتنظيم المحلي لحركة فتح كان يشعر بالاستياء من النفوذ المتنامي للإخوان في غزة، وكان مستعداً لأن يذهب إلى أبعد الحدود لمنع المشروع من أن يبصر النور ما لم يكونوا قادرين على السيطرة عليه بشكل كامل. وتفادياً للتهديد الحقيقي الذي يواجه مشروعهم، طلب الإخوان من ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وقائد حركة فتح، أن يصادق على الوثيقة التأسيسية للجامعة وأن يصدر قرار تعيين الهيئة التأسيسية. لربما لم يكن ياسر عرفات على دراية حينها بأن نصف أعضاء الهيئة التأسيسية على الأقل كانوا من الشخصيات الريادية في

جماعة الإخوان في فلسطين والأردن، فيما كان النصف الآخر من مسؤولي حركة فتح الذين جرى اختيارهم بسبب تعاطفهم مع الإخوان.[6] وربما كان من المحتمل أيضاً أن عرفات كان يحاول كسب ثقة الإخوان عن طريق تقديم تنازل لهم، فقد كان يروق له دائماً أن يعدّ نفسه أباً للأمة وقائداً لجميع الشعب الفلسطيني، بمن فيهم الإسلاميون. ولكن الإخوان في الواقع لم يقروا يوماً بقيادته على الرغم من إصراره عند الاجتماع بهم على القول إنه هو نفسه كان في يوم من الأيام عضواً في تنظيم الإخوان.

كانت السنوات الأولى من عمر الجامعة مشحونة بالنزاعات الخطيرة التي بدأت بخلافات داخل الهيئة التأسيسية، وامتدت بعد ذلك لتشمل مجلس الأمناء. أحد أبرز النزاعات التي شهدتها الجامعة كان حول منصب الرئاسة، فالإخوان كانوا يريدون رئيساً منهم، في حين لم يكن عرفات ليرضى بأقل من أن يكون رئيس الجامعة واحداً من مناصريه. وفي بعض الأوقات، اتسعت رقعة الخلاف وتخطّت أسوار الجامعة لتصل إلى شوارع غزة وتتمظهر على شكل أعمال عنف بين مناضلي فتح وأعضاء تنظيم الإخوان. إلا أن قيادة الإخوان كانت مصممة على فرض سلطتها الكاملة وإبقاء الجامعة تحت سيطرتها تماماً، حتى لو كان السبيل الوحيد إلى ذلك هو الردّ بالمثل على الاستفزاز والعنف.[7] وشكل تأسيس الجامعة الإسلامية في غزة معلماً مهماً في تاريخ الحركة الإسلامية في فلسطين فقد طور قدرتها على التواصل مع المجتمع، كما وفّر خدمات كان المجتمع بأمسّ الحاجة إليها مثل التعليم والتدريب والتوظيف، فكان مردود ذلك كله منح الإخوان وجاهة عظيمة ومكانة مرموقة وتعزيز دورهم كقيادة نافذة في قطاع غزة. وفي الوقت نفسه، منح تأسيس الجامعة الحركة الإسلامية فرصة إحياء مناسباتها المهمة والاحتفال بالمحطات التاريخية البارزة في حياتها من خلال إدراجها في رزنامة الجامعة التي كان يتوجب على كل الطلاب الالتزام بها. اجتذبت الجامعة آلاف الطلاب، ذكوراً وإناثاً، من الضفة الغربية وقطاع غزة. وفي السنوات التي تلت قدمت الجامعة مستوى تعليمياً عالياً مطعّماً بتوجه إسلامي، ما أتاح تحضير المجتمع الفلسطيني بشكل غير مسبوق للانتفاضة الشعبية الكبرى ضدّ الاحتلال الإسرائيلي.

وفي خارج فلسطين، أثمرت مساعي إنجاز مشروع الجامعة الإسلامية شعوراً بالمسؤولية لدى الإخوان، دفعهم إلى رفد المشروع بالمال اللازم والدعم السياسي

والمعنوي. وفي ذلك الوقت، وحّد الإخوان الفلسطينيون في الأردن والكويت والسعودية وغيرها من بلاد الخليج صفوفهم وانضووا تحت لواء وحدة جديدة. فحتى سنة 1978، كان الإخوان القادمون من الضفة الغربية، التي ظلت تحت الحكم الأردني حتى سنة 1967، يُلحقون بالتنظيم الأردني، في حين كان القادمون من قطاع غزة يلحقون بالتنظيم الفلسطيني. لكن في سنة 1978، توحد الإخوان الفلسطينيون تحت لواء أطلق عليه اسم "تنظيم بلاد الشام" بقيادة زعيم الإخوان في تنظيم الأردن عبد الرحمن خليفة. واختير هذا الاسم للإشارة إلى أن التنظيم يغطي كل المناطق التي كانت تشكل تاريخياً سورية الكبرى، وبالتحديد، مناطق سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين. وعلى الرغم من كون تلك الوحدة خطوة في الاتجاه الصحيح، إلا أن ذلك لم يمنع الإخوان من أن يشعروا بأن خطوتهم لم تكن كافية بحد ذاتها للاستجابة للتطورات الدراماتيكية السريعة التي كانت تجري في فلسطين ومن حولها. ولذلك ضغط فلسطينيو التنظيم الجديد باتجاه إيجاد جسم داخل تنظيم بلاد الشام خصيصاً لدعم احتياجات الإخوان الفلسطينيين داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة. فشكّلت "لجنة فلسطين" لهذا الغرض عند أول اجتماع لمجلس شورى التنظيم، والذي عقد بعد توحيد مختلف فروع الإخوان.

شهدت سنة 1979 توسعاً مهماً في الدعم الذي يحظى به الإخوان بانضمام أعضاء جدد للحركة من مختلف أنحاء المنطقة. وفي ذلك الوقت، أعطى إحياء التنظيم الأم في مصر دفعاً لشعبية جماعة الإخوان وجاذبيتها؛ حيث أطلق سراح القيادات الإخوانية من السجون المصرية في بداية السبعينيات، فأخذ بعضهم يتجول بين الدول العربية وغيرها من الدول، وكان هؤلاء الإخوان المحررون من أسر السجون في نظر إخوانهم أبطالاً تحملوا سنوات الاضطهاد وقاوموا كل المغريات والضغوط التي مورست ضدهم لدفعهم إلى التخلي عن مبادئهم أو هجر الجماعة والتبرؤ من انتمائهم إليها. فقد كان هؤلاء القادة بنظر الشبان والشابات في أنحاء العالم الإسلامي صورة عن جيل التابعين الذي تحمّل الكثير وبذل ما في وسعه في سبيل نصرة الإسلام وانتشاره. وكان طلاب الإخوان الفلسطينيين قد قرأوا مؤلفات الشخصيات الرائدة في حركة الإخوان مثل حسن البنا وعبد القادر عودة وسيد قطب، فشعروا أكثر من غيرهم بسعادة غامرة للقاء الرجال الذين عرفوا هذه الشخصيات البارزة عن كثب والاستماع إليهم مباشرة وهم يتحدثون عن الحركة وعن مؤسسيها.

بالإضافة إلى ذلك كله، شهدت سنة 1979 حدثاً مهماً على الساحة الدولية، ففي تلك السنة قاد آية الله الخميني الثورة الإيرانية التي أطاحت بنظام الشاه الموالي للولايات المتحدة و"إسرائيل". فقد قوّض الخميني النظام الملكي وأسس مكانه جمهورية إسلامية ميّزت نفسها بخطاب معادٍ لـ"إسرائيل" والولايات المتحدة أطرب آذان الشعب الفلسطيني. وشهدت السنة نفسها انطلاق عمليات الجهاد لتحرير أفغانستان من الاحتلال السوفييتي. وقد ألهب التصدي الإيراني لـ"الشيطان الأكبر"، الولايات المتحدة الأمريكية، وقصص الانتصارات الجهادية في أفغانستان، المشاعر في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما في أرجاء العالم الإسلامي. ولكن في ذلك الوقت، كان مشروع المقاومة الوطنية الفلسطينية قد بدأ يترنح، فخلال السبعينيات، بدأت علامات الضعف تظهر على منظمة التحرير الفلسطينية نتيجة الضغوط الإقليمية والدولية التي كانت تتعرض لها، كما اعتراها الفساد وسوء الإدارة، وأخذت المنظمة تبدي ميلاً إلى التورط في مقامرات كارثية استعداداً للدخول في مساومات قاصرة عن تحقيق الطموحات الوطنية للشعب الفلسطيني. وفي سنة 1982، اجتاحت "إسرائيل" لبنان بعد سبع سنوات من الحرب الأهلية المتقطعة التي اندلعت فيه. وشقت القوات الإسرائيلية طريقها لتصل إلى العاصمة اللبنانية بيروت، ليؤدي ذلك إلى الخروج النهائي لمنظمة التحرير الفلسطينية من لبنان. وفيما كانت بيروت محاصرة من قبل القوات الإسرائيلية بقيادة وزير الحرب الإسرائيلي آنذاك أريل شارون، أقدمت ميليشيا القوات اللبنانية المتحالفة مع "إسرائيل" على ذبح ما بين ألفين وثلاثة آلاف من المدنيين الفلسطينيين العزّل وغير المحميين في مخيمي صبرا وشاتيلا.[8] وإزاء هذه الأحداث، خيّم على الفلسطينيين إحساس خانق بالسخط والعجز والاستياء.

وسط كل هذه الأحداث الدراماتيكية، كان الضغط يتزايد على الإخوان في فلسطين ليقوموا بعمل ما تجاه قضيتهم. وبدا أن برنامجهم الإصلاحي يستغرق كل جهودهم، في حين كانت التطورات التي تحصل في فلسطين وحولها تتطلب استجابة أكثر قوة وصرامة. فبعد أن تمكن الإخوان من تطويق القوى اليسارية والقومية في المجتمع الفلسطيني، باتوا عرضة للنقد إذ انهمكوا بشكل أساسي في تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية والتعليمية فيما كان غيرهم يقدم التضحيات ويقاوم الاحتلال. وذهب من كانوا يحطّون من شأن الإخوان أبعد من ذلك، إذ اتهموهم بأنهم عقدوا صفقة مع سلطات الاحتلال الإسرائيلي، ولذلك كانت تتعامل معهم بمرونة وتمنحهم الرخص

لمشاريعهم. واستخدم أعداء الإسلاميين أساليب الدعاية الناصرية القديمة نفسها متهمين الإخوان بأنهم صنيعة بريطانيا والولايات المتحدة أو أذناب الصهاينة.

حركة الجهاد الإسلامي:

تعمّق مأزق الإخوان أكثر مع تأسيس حركة الجهاد الإسلامي في غزة على يد فتحي الشقاقي في بداية الثمانينيات. فُصل الشقاقي من تنظيم الإخوان حين كان يدرس في القاهرة سنة 1979، وكان السبب الظاهري لفصله قيامه بتأليف ونشر كتيّب حمل عنوان: "الخميني، الحل الإسلامي والبديل" على الرغم من صدور أمر من قيادة الإخوان يمنعه من ذلك. ولكن من المحتمل أن يكون السبب الحقيقي له علاقة بما كان الشقاقي يوجهه من نقد لحركة الإخوان على خلفية افتقارها إلى استراتيجية لخوض الصراع المسلح من أجل فلسطين، أكثر مما كان له علاقة بكتابه المناصر للخميني. فطرح الإخوان الرسمي في ذلك الوقت، لم يكن يعطي فلسطين أولوية على غيرها من القضايا الإسلامية، في حين أن الشقاقي كان يرى أن فلسطين أمّ القضايا، وبالتالي، يجب أن تكون قضية الحركة الإسلامية المركزية، وهو طرح لم تتبلور معالمه في الطروحات الرسمية للإخوان إلا بعد عقد من الزمن. ورشح فيما بعد أن الشقاقي كان يعد العدة لتشكيل تنظيم إسلامي جديد تمّ تجنيد أعضائه من داخل حركة الإخوان ومن خارجها، وهذا ما يقدم تفسيراً أفضل للسبب الذي دعا الإخوان إلى نفض يدهم منه. كان عبد الله رمضان شلَّح من أوائل الشخصيات التي استقطبها الشقاقي من خارج تنظيم الإخوان، وهو الشخص الذي خلف الشقاقي بعد اغتياله سنة 1995. ومن ضمن الشخصيات التي كانت من أوائل المستقطبين قيادات حالية في حركة الجهاد مثل خضر حبيب ونافذ عزام وعبد الله الشامي. وقد ظلّ التنظيم لسنوات يعمل تحت اسم الطلائع الإسلامية، إذ لم يستقر الرأي على تبني مسمى حركة الجهاد الإسلامي إلا في منتصف الثمانينيات.[9]

بعد عودته إلى غزة سنة 1981، سعى الشقاقي إلى استقطاب المزيد من الأفراد لتنظيمه، وبعد فترة وجيزة، دخل في صراعات مع تنظيم الإخوان الذي غدا في ذلك الوقت شبكة متكاملة من المساجد والمؤسسات المدنية التي يديرها جيل من الناشطين، كان بعضهم قد تخرج للتو من الجامعات المصرية، مثل إسماعيل أبو شنب،

وعيسى النشار، وصلاح شحادة، وإبراهيم المقادمة. أدرك الشقاقي أن ليس بمقدوره أن ينافس برنامج الإخوان الاجتماعي، والحقيقة أنه لم يكن مهتماً أصلاً بمنافستهم في ميادين التعليم والخدمات الاجتماعية التي كانوا متفوقين فيها، بل كان يتطلع إلى تحدّيهم في الميدان الذي طالما اعتقد أنهم تخلوا فيه عن أعظم مسؤولياتهم، ميدان الجهاد لتحرير فلسطين. وسرعان ما استطاع الشقاقي أن يجمع حوله عدداً معتبراً من الأتباع، ما دفع الإسرائيليين إلى تصنيفه على أنه خطر محتمل. وفي فترة سجنه الأولى والقصيرة سنة 1983، تعرف الشقاقي في السجن على أشخاص من خلفيات تنظيمية متنوعة كانوا دخلوا السجن بسبب أنشطتهم المقاومة. فكان هؤلاء الرجال، الذين كانت لديهم بعض الخبرة في الصراع وتلقوا بعض التدريب، مشاريع مجندين لتنظيم الشقاقي.

وفي ذلك الوقت، شنّت سرايا الجهاد الإسلامي من مخابئها في الضفة الغربية حملة مقاومة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، وكانت السرايا تضم عناصر من حركة فتح من ذوي الخلفيات الدينية، وتسعى إلى إعادة إحياء الصراع المسلح ضدّ قوات الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنين اليهود في الأراضي الفلسطينية. حينذاك، كانت قناعة قيادة منظمة التحرير بإمكانية التوصل إلى اتفاقية "سلام" تتزايد، وكانت منغمسة في الصراعات العربية الداخلية، وبالتالي، لم يكن لها دور يذكر في إطلاق سرايا الجهاد، مع أنها كانت في بعض الأحيان تدّعي لنفسها مفخرة ما تقوم به السرايا من عمليات. وفي 1980/5/2، ذاع صيت سرايا الجهاد عندما قامت مجموعة من مقاتليها بفتح النار من فوق السطوح على مجموعة من المستوطنين اليهود قرب مستوطنة كريات أربع Kiryat Arba في أثناء دخولهم إلى مدينة الخليل، فقتلت ستة منهم وجرحت سبعة عشر.[10] نجح الشقاقي في نسج خيوط تحالف مع سرايا الجهاد التي كان لقيادتها علاقات واسعة مع التنظيمات الفلسطينية في الداخل والخارج، ومنهم عبد الله عزام، عضو حركة الإخوان، الذي كان يقود الفريق العربي في الجهاد الأفغاني من مركزه في مدينة بيشاور الباكستانية.[11] أدهشت عمليات سرايا الجهاد الجريئة والمحكمة التخطيط العرب والإسرائيليين على حدّ سواء. ومن أبرز العمليات التي قامت بها السرايا عملية البراق الشهيرة التي شنتها في 1986/10/15 ضدّ أفراد من الجيش الإسرائيلي كانوا في زيارة للموقع، فقتل منهم واحد وجُرح ما يقارب السبعون.[12]

ومن سنة 1979 حتى سنة 1981، سرى سؤال ملحّ في الأوساط الشبابية في حركة الإخوان في الضفة وغزة التي شحنتها عمليات سرايا الجهاد: "لماذا لا ننخرط في المقاومة العسكرية للاحتلال؟"، وفي ذلك الوقت، لم يكن يُعرف سوى القليل عن خطّة للانخراط في عمل عسكري كان قد تمّ وضعها بالفعل، خلال تلك الفترة نفسها من البحث عن الذات. وكان الشيخ أحمد ياسين، زعيم الإخوان في غزة، هو من وضع الخطة وأشرف عليها. فقد كان من الواضح أن قيادة الإخوان، أو على الأقل بعضها، لم تعد قادرة على احتواء الضغوط التي تتعرض لها من داخل صفوف الإخوان أنفسهم، ولا تبديد الشك الذي أخذ يتعاظم في المجتمع الفلسطيني ككل، فأصبح الوضع يشكل معاناة لهم، ولربما فاقم من ذلك إحساس متزايد بالذنب من عدم مشاركتهم في العمل العسكري. ظلّ هذا المشروع سرياً لدرجة أن قيادات الإخوان في الضفة الغربية وقطاع غزة فوجئوا بوجوده عندما أعلن عنه. تجدر الإشارة إلى أن الخطاب الرسمي للإخوان في ذلك الوقت كان ما يزال يرى أن رسالة الحركة الأساسية هي الاهتمام بالفرد والمجتمع داخل فلسطين وإنشاء أكبر عدد ممكن من المؤسسات المدنية التي يمكن أن تساعد في تحقيق هذا الهدف، وكانوا يرون أن تحرير فلسطين مهمة عظيمة جداً لا يمكن تحقيقها إلا بوجود دولة إسلامية قوية. ولذلك كان إيجاد تلك الدولة هو المشروع الذي تعمل من أجله الحركة الإسلامية في العالم العربي وفي غيره من أنحاء العالم.

بات معروفاً الآن أن الإخوان الفلسطينيين في الشتات كانوا يضغطون أيضاً مطالبين بالمبادرة بتنفيذ أعمال عسكرية. وقد تعززت جهودهم بفعل توحيد تنظيمهم في نهاية السبعينيات، وقد بلغ هذا الأمر ذروته في المؤتمر التاريخي الذي عقد سراً في عمّان سنة 1983، وحضره ممثلون عن تنظيم بلاد الشام من داخل فلسطين من الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن الأردن والكويت والسعودية وغيرها من دول الخليج، كما حضره آخرون من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. كان الهدف من ذلك اللقاء وضع الحجر الأساس لما عرف فيما بعد بـ"المشروع الإسلامي لفلسطين"، وهو مشروع اقترحه الوفد القادم من الكويت.[13] وفي ذلك المؤتمر، تقرر بالإجماع تقديم الدعم المادي واللوجستي لجهود الإخوان في فلسطين الرامية إلى إطلاق الجهاد. وفي ذلك الوقت، تلقت لجنة فلسطين التي كانت تعرف أيضاً بـ"لجنة الداخل" ويديرها أمين سر المكتب التنفيذي لـ"تنظيم بلاد الشام" في عمّان، تبرعاً قدره 70 ألف دولار

أمريكي جمعه فرع الكويت من أجل تمويل أول مشروع جهادي في غزة. وقد كان من المقرر استخدام الأموال لشراء الأسلحة والذخيرة وإرسال عدد من الأفراد إلى عمّان لتلقي التدريب العسكري.[14]

لم يكن هناك أحد على علم بمشروع الجهاد، الذي انتهى التخطيط له سنة 1982، سوى الشيخ أحمد ياسين ودائرة الإخوان المقربين جداً منه، فيما لم يتم إبلاغ قادة الإخوان الآخرين في تنظيم غزة. أما خارج فلسطين، فلم يعلم بالموضوع إلا لجنة فلسطين التي كانت على علاقة مباشرة به، وكان دورها تدبير المال، وتوفير المرافق التي يمكن أن يتدرب فيها من يُبتعثون من غزة إلى الأردن. وفعلاً، وصلت أول مجموعة من غزة إلى الأردن وتلقت التدريب ثم عادت إلى غزة لتشكل أول خلية للجهاد في الجهاز العسكري للإخوان. شكّل الشيخ أحمد ياسين مجموعتين منفصلتين لشراء السلاح الذي كان متوفراً في "إسرائيل"، وعادة ما كان الجيش الإسرائيلي نفسه هو مصدره حيث كان الجنود والضباط الإسرائيليون يسرقون السلاح ويبيعونه في السوق السوداء لتوفير المال اللازم لشراء المخدرات. ولكن الإخوان الذين عيّنوا لهذه المهمة كانت تعوزهم الخبرة، فلم يحتاطوا بما فيه الكفاية، وبالتالي وقعوا في فخّ نصبه لهم عملاء استدرجوهم بحجة شراء أسلحة من وسطاء إسرائيليين. كشفت الخطة، وتحت وطأة التعذيب الشديد كشف المعتقلون عن أسماء المسؤولين عنهم. بداية ظنّ الشيخ ياسين أن الاعتقالات كانت من قبيل المصادفة، لكن سرعان ما أدرك أن المطلوبين هم أكبر المسؤولين في تلك العملية. شخصان فقط كانا يعلمان بمسؤولية الشيخ عنها، هما الدكتور إبراهيم المقادمة والدكتور أحمد الملح وكان كل واحد منهما على رأس إحدى الخليتين اللتين شكلهما الشيخ أحمد ياسين لشراء السلاح. أمر الشيخ ياسين هذين الشخصين بالسفر إلى خارج البلاد، فتمكن الدكتور أحمد الملح من الهرب إلى اليمن، فيما لم يستطع الدكتور إبراهيم المقادمة أن يؤمن لنفسه مخرجاً، فاعتقل وتعرض لتعذيب شديد اعترف تحت وطأته بأن الشيخ أحمد ياسين هو الرأس المدبر فاعتقل على الفور.

في ذلك الوقت سرت شائعات في غزة مفادها أن الإخوان كانوا يشترون أسلحة من أجل استخدامها ضدّ مناوئيهم في الفصائل الفلسطينية الأخرى، وكان الإخوان حينها قد اكتسبوا عداوة أشخاص نافذين في حركة فتح والجناح اليساري في الحركة الوطنية الفلسطينية. لقيت تلك الإشاعات آذاناً صاغية خصوصاً مع أجواء التوتر

التي سيطرت على غزة بعد النزاع على الجامعة الإسلامية. إلا أنه في 1984/4/15، دانت المحكمة العسكرية الإسرائيلية الشيخ أحمد ياسين بتهمة التخطيط للقضاء على "دولة إسرائيل"، وحكمت عليه بالسجن لمدة 13 عاماً. وأدين إبراهيم المقادمة أيضاً، ونفذ عقوبة بالسجن لمدة ثمانية أعوام، فيما لم تستطع المحكمة إدانة صلاح شحادة المتهم الأساسي الثالث في القضية لأنه رفض الاعتراف، ولكن ظلّ الإسرائيليون مشتبهين به، فأمضى سنتين في الاعتقال الإداري. وتمكنت السلطات الإسرائيلية من العثور على نصف الأسلحة التي اشتراها الإخوان ومصادرتها، أمّا النصف الآخر الذي اشترته الشبكة الثانية التي لم تُخترق فبقي مخبّأً. واستخدمت تلك الأسلحة بشكل جزئي في تنفيذ عمليات عسكرية ضدّ المتعاملين مع "إسرائيل" قبل اندلاع الانتفاضة سنة 1987.

وبعد أقل من سنة، أطلق سراح الشيخ أحمد ياسين من السجن في 1985/5/20 في إطار عملية تبادل أسرى تفاوضت عليها "إسرائيل" مع أحمد جبريل، أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة. وبموجب تلك العملية أطلق سراح 1,150 أسيراً فلسطينياً مقابل ثلاثة جنود إسرائيليين كانت الجبهة تحتجزهم. وسادت قناعة عامة في ذلك الوقت بأن ما جرى كان نتيجة مبادرة شخصية من الشيخ أحمد ياسين لم يوافق عليها غيره من قادة الإخوان، واستمر الجدل في أوساط الإخوان حول جدوى الصراع المسلح، فالعديد من قيادات الإخوان، وخصوصاً في الضفة الغربية، كانت ترى أن فشل دعوة الشيخ أحمد ياسين إلى شنّ أعمال عسكرية أثبت صحة الموقف الذي طالما تمسكوا به، حيث كانوا يعتقدون أنه من العبث الاستمرار في هذا الطريق لأنه من المستحيل إلحاق الهزيمة بـ"إسرائيل"، وخصوصاً أن الأخيرة مدعومة من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وأنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الدول العربية المجاورة لفلسطين غير فعالة. وبالتالي، فإن خوض الجهاد ضدّ "إسرائيل" لن ينتج عنه سوى تدمير الحركة الإسلامية من دون تحرير شبر واحد من الأرض المحتلة.

لكن، منذ سنة 1982، ومع عودة عدد كبير من أعضاء الحركة الذين كانوا يتابعون دراستهم في جامعات الضفة الغربية، أصبح هناك اتجاهان واضحان داخل الإخوان. كان الاتجاه الأول متمثلاً بالجيل الذي درس في الأردن في السبعينيات وشكل في الثمانينيات قيادات الحركة، وهو اتجاه كان ما يزال متأثراً بالمدرسة الأردنية في التفكير

التي كانت تؤمن بضرورة انتظار ولادة الدولة الإسلامية التي ستقود الجهاد لتحرير فلسطين. وكان الإخوان الأكبر سناً هم أصحاب ذلك الاتجاه، فعامل السن ممزوجاً بفقدان الاتصال بما كان يجري من أحداث على الأرض دفعهم إلى التمسك بموقف "لننتظر ونرىَ". وتطلب الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يتنبهوا إلى أن مصداقيتهم في خطر بسبب حالة الجمود التي يعيشونها، وأنهم سوف يخسرون الأفراد المستقطبين إلى الجماعة بسبب الضغط الكبير الذي يتعرض له الأعضاء الأصغر سناً من الإخوان. ولا أدل على ذلك مما كانت تشهده الجامعات ما بين سنتي 1981 و1984 من مشاجرات متكررة بين الطلبة الإسلاميين من جهة والطلبة القوميين واليساريين من جهة أخرى. وكان الطلاب اليساريون والقوميون ينتهزون فرصة اندلاع المشاجرات الروتينية التي تركزت في مجملها حول النفوذ وممارسة الصلاحيات داخل الحرم الجامعي، ليعيرّوا الإخوان بموقفهم "غير الوطني".

وأما الاتجاه الثاني فضمّ الأعضاء الأصغر سناً في تنظيم الإخوان من الذين تلقوا تعليماً محلياً وكانوا منبهرين بالثورة الإيرانية والجهاد في أفغانستان. كان هؤلاء الإخوان مجبرين على التعامل مع الطلاب اليساريين والقوميين وحتى الشجار معهم في بعض المناسبات. وكان أعضاء هذا الاتجاه مستائين من الانتظار ويكاد صبرهم ينفد. وكانوا محبطين أكثر من أي شيء مما يرونه من اختلاف بين النظرية والتطبيق. فقد تعلموا داخل الحركة أن رسالة الإخوان، منذ اللحظة الأولى لتأسيسها على يد حسن البنا سنة 1928، كانت محاربة الظلم ومقاومة الإمبريالية والجهاد من أجل تحرير فلسطين. ولكن لم يكن أمام أنظارهم سوى مشهد جمود جماعتهم، في الوقت الذي كانت حركة الجهاد الإسلامي بقيادة الشقاقي تأخذ فيه زمام المبادرة وتطبق فريضة الجهاد، وبالتالي كانت تحوز المصداقية والاحترام، والمزيد من القوة على الأرض وداخل الجامعات. وكان هؤلاء الإخوان اليافعون يرون أن كل الفصائل والمجموعات السياسية تبنت الجهاد ما عدا حركتهم. ولم يعد بالإمكان الدفاع عن موقف الإخوان المصرّ على عدم تشجيعه للمشاركة في أيّ أعمال احتجاجية. ولم يكن طلاب الإخوان يجدون ما يردون به حينما يسخر أقرانهم المنتمون إلى التنظيمات القومية واليسارية من جمود الحركة الإسلامية. والشعور الأسوأ أنه في الوقت الذي كان فيه القوميون واليساريون يخوضون المعارك والمواجهات في الشوارع

والمخيمات، ويقدمون التضحيات، كان الإسلاميون "يسلكون أكثر الطرق أمناً للوصول إلى منازلهم حيث كانوا يقبعون في داخلها مثل الحريم".[15]

لكن على الرغم من فشل تجربتها الأولى، ساعدت دعوة الشيخ ياسين إلى القيام بعمل عسكري ضدّ الاحتلال في تعزيز معنويات الجيل الأصغر من الإخوان، وكان من شأنها أن فرضت تغييراً في المواقف والسياسات، إذ أصبحت القيادات الشابة من إخوان الضفة الغربية على قناعة تامة بالحاجة إلى التغيير. فبالإضافة إلى الحماس الذي أذكته العوامل المحلية في نفوسهم، فإنهم تأثروا بإخوانهم القادمين من قطاع غزة لمتابعة دراستهم، ومن بينهم إسماعيل أبو شنب الذي كان يدرس في جامعة النجاح. كان إخوان غزة أكثر رغبة في شنّ صراع مع "إسرائيل"، فقد كانت معاناتهم من الاحتلال أكبر، وكانوا أقل تأثراً بالمدرسة الفكرية الأردنية. وفي نهاية الأمر أعطت قيادة الإخوان الإذن بمواجهة الاحتلال. وفي حزيران/ يونيو 1986، أعلن الفصيل الإسلامي في جامعة بيرزيت عبر مكبرات الصوت عن تنظيم تجمع للاحتجاج على الوحشية الإسرائيلية وحثّ جميع الطلاب على المشاركة. لكن التجمع قُمع من قبل القوات الإسرائيلية، ما تسبب بارتقاء شهيدين وإصابة عشرين طالباً.[16] وأخيراً، بات للإخوان شهداء يفاخرون بهم، وكان ذلك بداية الطوفان إذ إنّ الإخوان سمح لهم بعد ذلك، بل شجعوا أيضاً على المشاركة في تظاهرات ضدّ الاحتلال. وبعد سنوات قليلة، في أواخر الثمانينيات، تخرج قادة العمل الطلابي الذين فرضوا هذا التغيير، وتولوا مسؤوليات مختلفة داخل الحركة الإسلامية.

تطبيقاً لقرارات مؤتمر عمّان، اتفق الإخوان الفلسطينيون في الكويت والأردن والسعودية على وضع خطة شاملة لتقديم الدعم المالي والسياسي واللوجستي. وفي تلك الفترة كان الإسلاميون الفلسطينيون من فلسطين والأردن والكويت والمملكة العربية السعودية وغيرها من دول الخليج ممن كانوا يتابعون دراستهم في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة قد أسسوا جمعيات إسلامية مختلفة لتقديم الدعم لفلسطين، وكان من ضمن مهمات هذه الجمعيات رعاية الطلاب وتسخير أيّ مورد من الموارد التي كانوا يستطيعون الوصول إليها في خدمة إخوانهم في فلسطين. ففتحوا قنوات اتصال خدماتية آمنة وفعالة مع فلسطين، وأسسوا الجمعيات الخيرية ونشروا المجلات والكتب، وشكلوا مراكز تفكير قدمت جميعها مساعدات لا تقدر بثمن للحركة

الإسلامية في فلسطين. وفي أواخر سنة 1985، أسست لجنة فلسطين جسماً متخصصاً سُمّي "جهاز فلسطين"، كانت مسؤوليته تنسيق أنشطة مختلف المؤسسات التي أنشأها الإخوان الفلسطينيون حول العالم، وتقدير ما إذا كان هناك ضرورة لإنشاء المزيد من المؤسسات. وكان هذا الجهاز هو النواة التي كبرت وتحولت لاحقاً إلى شبكة عالمية لدعم حماس لوجستياً. وفي التسعينيات، أصبح ثلاثة من الشخصيات المركزية في جهاز فلسطين من كبار القادة في حركة حماس، وهؤلاء هم: خالد مشعل الذي كان يعيش في الكويت، وموسى أبو مرزوق الذي غادر إلى الولايات المتحدة ليستكمل دراساته العليا، ثم عاد إلى غزة ليعمل في الجامعة الإسلامية التي كان عضواً في هيئتها التأسيسية، وإبراهيم غوشة الذي أصبح أول ناطق رسمي باسم حماس خارج فلسطين، وكان يعيش متنقلاً بين الأردن والكويت إلى حين اجتياح صدام حسين للكويت في آب/ أغسطس 1990.

وفي ذلك الوقت، استمر الشيخ ياسين ومجموعته المباشرة في ممارسة أنشطتهم. كان الشيخ يقول في العلن، بأن ما خبرته الحركة مؤخراً علّمه أن الوقت ما زال مبكراً جداً للتفكير بعمل عسكري وأن الحاجة ما زالت قائمة إلى المزيد من العمل في مجال التربية. وفي المحافل الخاصة، كان يضغط باتجاه إعادة بناء الجهاز العسكري الذي أطلقه قبل سجنه، وحدد يوم 1987/11/17 تاريخاً لانطلاق الجهاد، وكلف صلاح شحادة بتشكيل التنظيم الجديد الذي عرف باسم "المجاهدون الفلسطينيون" وكانت مهمته الأساسية تنفيذ عمليات ضدّ الجنود الإسرائيليين والمستوطنين اليهود في قطاع غزة. وكلف أيضاً كلاً من يحيى السنوار وروحي مشتهى[17] بتشكيل تنظيم أمني أطلق عليه اسم "مجد" كانت مهمته الأساسية اكتشاف وملاحقة وإعدام عملاء "إسرائيل" من الفلسطينيين. ولم يحقق أيّ من التنظيمين الكثير قبل اندلاع الانتفاضة على الرغم من بعض المحاولات التي باءت بالفشل، ومضت من دون أن تلفت الانتباه.

قبيل انطلاق الانتفاضة، سلبت حركة الجهاد الإسلامي ألباب الفلسطينيين، وجذبت انتباه المراقبين بعملياتها الجريئة والناجحة ضدّ الإسرائيليين، ففي 1987/5/15، هرب ستة من أعضائها من سجن غزة المركزي، وفي 1987/8/2 اغتال أحد ناشطيها الكابتن رون طال Ron Tal، قائد الشرطة العسكرية في قطاع غزة داخل سيارته في الشارع الرئيسي في المدينة. وفي 1987/10/6، فتح أربعة من ناشطي الحركة النار على

دورية عسكرية إسرائيلية في حيّ الشجاعية في مدينة غزة، فقتلوا جندياً إسرائيلياً، واستشهد منهم واحد. لكن مع هذا، وعلى الرغم من أنه كانت هناك لحظات تصدٍّ جريئة، كانت هناك لحظات أخرى من اليأس التام، في حين سيطرت سحابة من التوتر الشديد على أجواء الضفة الغربية وقطاع غزة حيث شعر الناس أنه قد تمّ التخلي عنهم وأنهم محاصرون أكثر من أيّ وقت مضى. اختلطت مشاعر الاستياء بمشاعر الأمل، وكان الترقب سيد الأجواء، وكأن شيئاً كان في طريقه إلى الحدوث مع أن أحداً لم يكن يعلم ما هو أو يعرف ما إذا كان خيراً أو شراً. فسلّم البعض أنفسهم لأقدارهم، إذ كانوا يشعرون بأن الأمور لن تصل إلى أسوأ مما كانت عليه، فيما توقع البعض انفجاراً عظيماً، ولم يطل الأمر حتى صدقت توقعاتهم.

هوامش

[1] انظر: أحمد منصور، **الشيخ أحمد ياسين، شاهد على عصر الانتفاضة**.

[2] منذ احتلال "إسرائيل" للضفة الغربية وقطاع غزة سنة 1967، اعتمدت على جيش من العملاء الفلسطينيين، وقد زود هؤلاء أجهزتها الأمنية بمعلومات قيّمة أدّت إلى اعتقال أو تصفية نشطاء مناهضين لـ"إسرائيل"، أو إحباط هجمات محتملة ضدّ أهداف إسرائيلية. ويعمل العملاء مقابل مكافآت تتراوح بين مدفوعات نقدية صغيرة ووعد بتأشيرة خروج إلى مكان ما في أمريكا أو أوروبا. إحدى المهام الرئيسية للعملاء هي تجنيد آخرين، وهو ما يفعلونه بشكل رئيسي عن طريق الابتزاز، بعد توريط المجندين المحتملين في المواد الإباحية، أو الفضائح الجنسية، أو المخدرات، أو أي سلوك مماثل من شأنه أن يهينهم في نظر المجتمع الفلسطيني.

[3] انظر الهامش رقم 30 في الفصل الأول، ص 47 .

[4] جاء في صحيح البخاري أن الرسول محمد ﷺ قال: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً"، ومن معاني الزكاة في اللغة العربية النمو، وهي تستخدم لوصف هذا العمل الخيري لأن الإسلام يعِدُ بنمو ثروة الفرد بعد التبرع منها للمحتاجين. يُطلب من الفرد المسلم دفع الزكاة تعبيراً عن طاعة الله، وهذا يسير جنباً إلى جنب مع الصلاة؛ أحدهما هو التعبير الجسدي عن الخضوع للخالق، والآخر هو التعبير المالي.

[5] على الرغم من الجهود الإسرائيلية لإثبات قيام هذه المؤسسات الخيرية بتمويل أعمال العنف، لم يتم تقديم أي دليل يثبت مثل هذه الادعاءات على الإطلاق. وفي أعقاب اندلاع انتفاضة سنة 1987، ومن أجل تجنب أي عقوبة قانونية، تمّ التأكد من أن لجان الزكاة والمؤسسات التي تدعمها في الخارج مرخصة بشكل صحيح. وقد تمّ الحرص على التأكد من أن أنشطتهم كانت قانونية وشفافة تماماً؛ ولم يُسمح بفلس واحد من الأموال التي تتلقاها هذه الجمعيات الخيرية بالانتقال إلى مشاريع أخرى، وخصوصاً إلى المجهود العسكري، الذي كان له مصادر تمويل منفصلة خاصة به.

[6] كان من بين أعضاء اللجنة التأسيسية للإخوان موسى أبو مرزوق، الذي كان يعمل في دولة الإمارات العربية المتحدة، وكان في ذلك الوقت رئيس فرع الإخوان الفلسطينيين هناك، وعدد من الأردنيين، منهم قنديل شاكر وإسحق الفرحان.

[7] تقول مصادر إخوانية إن قائمة اغتيالات أقرها خليل الوزير (أبو جهاد)، الرجل الثاني في حركة فتح في عهد ياسر عرفات، أُرسلت إلى غزة في أوائل الثمانينيات. وكان الأشخاص المقرر تصفيتهم في معظمهم أفراداً يشتبه في تعاونهم مع "إسرائيل". إلا أن القائمة تضمنت أسماء بعض الإسلاميين الذين يعملون في الجامعة الإسلامية أو يرتبطون بها ولكنهم ليسوا أعضاء في تنظيم الإخوان. ومن بين هؤلاء الدكتور إسماعيل الخطيب، عميد كلية اللغة العربية، الذي قُتل في سيارته الخاصة أمام منزله وبين أبنائه التسعة. واعتقد الإخوان أن آخرين كانوا سيتعرضون للاغتيال لو لم تهدد المنظمة بتصميمها على استخدام القوة ضدّ فتح إذا لزم الأمر، ما اضطرهم إلى الكف عن الاغتيالات. واضطر رئيس الجامعة المؤقت رياض الآغا، الذي كان المفضّل لدى عرفات، إلى الاستقالة وحلّ محله محمد صقر، وكان من اختيار الإخوان. وتمّ التخلي عن خطة فتح الرامية إلى فرض مجلس إدارة جديد للجامعة، حيث استنتج قادة فتح أن هذا الإجراء من شأنه أن يؤدي إلى تداعيات خطيرة. ومن الاعتبارات الأخرى التي دفعت فتح إلى التخلي عن قائمة الاغتيالات أنه كان ما يزال أمامها بعض الأعمال غير المكتملة في معركتها ضدّ اليسار، ممثلاً بالحزب الشيوعي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والتي تحتاج فيها إلى تعاون الإسلاميين.

[8] وقعت مذبحة صبرا وشاتيلا على مدى 40 ساعة بين غروب الشمس يوم الخميس 1982/9/16 ومنتصف نهار السبت 1982/9/18. يقع شارع صبرا ومخيم شاتيلا في منطقة سكنية في بيروت تقطنها الطبقة الكادحة. وبلغت التقديرات غير الرسمية لعدد الضحايا، من قِبل الحكومة اللبنانية واللجنة الدولية للصليب الأحمر والصليب الأحمر اللبناني، نحو 2,000 و2,750 و3,000 على التوالي. تمّ إرسال هذه الإحصائيات، التي لم يتمّ الإعلان عنها رسمياً مطلقاً، بشكل سري إلى المحققين والكتّاب الأجانب. ويعتقد الفلسطينيون أن الرقم الفعلي أعلى من ذلك بكثير. وأعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات حينها أن عدد ضحايا صبرا وشاتيلا يتراوح بين 5,000 و6,000. انظر:

Bayan Nuwayhed al-Hout, *Sabra And Shatila September 1982* (London: Pluto Press, 2004).

[9] مقابلة أجراها غسان شربل مع عبد الله رمضان شلح، صحيفة **الحياة**، لندن، 2003/1/10.

[10] أفاد تقرير كريستيان ساينس مونيتور The Christian Science Monitor في 1980/5/8، أن من بين القتلى إيليا هازيف Elia Hazeev، الذي أُدين قبلها بعام باقتحام منازل عربية في الخليل، وضرب السكان، وتحطيم الأثاث، وأمر العرب بمغادرة الخليل. وجاء الهجوم الفلسطيني على المستوطنين، بحسب تقرير كريستيان ساينس مونيتور، بعد يوم من مقتل شاب فلسطيني زُعم أنه حاول أخذ بندقية من جندي إسرائيلي. ووقع الهجوم على المستوطنين وسط المدينة في منطقة تعرف لدى أهالي الخليل باسم الدبويا، ويطلق عليها الإسرائيليون اسم بيت هداسا Beit Hadassah. كان التوتر يتصاعد هناك منذ سنة 1979، عندما استولت مجموعة من المستوطنين من كريات أربع Kiryat Arba بقيادة زوجة الحاخام ليفنجر Rabbi Levinger على مبنى في وسط المدينة، وحوّلته إلى مستوطنة. وقد حظيت المستوطنة بحماية الجيش الإسرائيلي منذ يوم تأسيسها. ولكن في أعقاب الهجوم الفلسطيني على المستوطنين، منحت حكومة مناحيم بيجن الإسرائيلية تصريحها الرسمي لما أصبح في الواقع مستوطنة يهودية محصنة وسط السكان العرب في وسط المدينة.

[11] اغتيل عبد الله عزام في 1989/11/24 في بيشاور، باكستان، عن عمر يناهز 48 عاماً. وما يزال اغتياله لغزاً وقد اتُّهمت جهات مختلفة بتنفيذه.

[12] اغتيل قادة فتح في سرايا الجهاد، باسم (حمدي) سلطان، ومروان الكيالي، ومحمد حسن ابحيص، على يد الموساد في 1988/2/14 في مدينة ليماسول الساحلية القبرصية. كان الثلاثة قد دخلوا للتو سيارة الكيالي عندما انفجرت قنبلة مزروعة في السيارة بواسطة جهاز التحكم عن بعد، ما أدى إلى مقتل الثلاثة جميعهم.

[13] مقابلة أجراها الكاتب مع خالد مشعل، دمشق، 2003/8/13.

[14] هذه اللجنة، التي بدأت كمجموعة صغيرة من الناشطين الملحقين بإدارة أمانة المكتب التنفيذي لجماعة الإخوان، تطورت في غضون سنوات قليلة لتصبح شبكة ضخمة من المنظمات التي أصبحت تعرف مجتمعة باسم حركة المقاومة الإسلامية (حماس). وكما سنرى في الفصول من الرابع إلى السادس، فقد تجاوز الطفل والديه؛ وكان فشل الطرفين في استيعاب التغيرات السريعة داخلهما وفيما بينهما أحد العوامل الرئيسية التي أدّت إلى توتر العلاقات بين حماس والإخوان لاحقاً. وكان هذا لصالح السلطات الأردنية، إذ سهل عليها تنفيذ خطة طرد حماس من البلاد.

[15] مقابلة أجراها الكاتب مع معين شبيب، زعيم طلابي سابق في جامعة بيرزيت، مانشستر، 2005/5/18. قد يشير مصطلح "الحريم" إلى الأماكن الخاصة بالأسرة العربية، حيث لا يُسمح للغرباء الذكور بالدخول؛ وقد يشير أيضاً إلى مجموعة من النساء و/أو الزوجات و/أو المحظيات في الأسرة.

[16] الطالبان اللذان قُتلا في ذلك اليوم كلاهما من قطاع غزة. وكان أحدهما جواد أبو سلمية من مخيم خان يونس للاجئين؛ أما الآخر فهو صائب ذهب من الشجاعية بمدينة غزة..

[17] اعتقل الإسرائيليون الرجلين في المعتقلات الإسرائيلية. اعتقل يحيى السنوار في 1988/1/20 وحُكِم عليه في سنة 1989 بالسجن لفترة طويلة. فيما اعتقل روحي مشتهى في 1988/2/13 وحكم عليه بالسجن 7 سنوات. غير أنه تمّت مراجعة عقوبته لاحقاً وتعديلها إلى 4 فترات مؤبدة بالإضافة إلى 20 عاماً.

Hamas: Unwritten Chapters

By:
Dr. Azzam Tamimi

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب حركة حماس، من خلال أدبيات الحركة وتصريحات قادتها ورواياتهم هم أنفسهم لمراحل نشأتها وتطورها. كما يُركّز على العوامل والأحداث التي أدّت إلى صعود الحركة، والانتشار الواسع بسرعة، واستئثارها بثقة أعداد متزايدة من الفلسطينيين في الداخل وفي الشتات ودعمهم، وفوزها باحترام الغالبية العظمى من العرب والمسلمين حول العالم وتعاطفهم.

ويُقدّم الكتاب رؤية حركة حماس لنفسها وللعالم من حولها، ويحلل فهمها وموقفها من الصراع في فلسطين ووسائل حلّه. كما يسلّط الضوء على كيفية مواجهة حماس للتحديات، وكيفية تعاملها مع الأصدقاء والخصوم، وقدرتها على التعافي من النكسات. ويتطرق إلى العوامل التي تحوَّلت بسببها حركة حماس في نظر الكثير من الفلسطينيين إلى بديل مُقنع لقيادة الشعب الفلسطيني.

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب باللغة الإنجليزية في سنة 2007. ويسر مركز الزيتونة تقديمه للقراء الكرام باللغة العربية للمرة الأولى في هذه الطبعة.

ISBN 978-614-494-058-7

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 21 961+ | تلفاكس: 643 803 21 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net